كتاب الاوراق للصولي

— ٣ —

وقال يوماً يوسف بن القاسم ليحيى بن خالد في شيء كان بينه وبين جعفر بن محمد ابن الاشعث الخزاعي : أعز الله الوزير ان الأريب يتجرع الغصة ، حتى ينال الفرصة ، ويقر للصغار ، حتى يملك الانتصار · ووقّع الى عامل : ان كنت منصفاً من نفسك ، فلم تظلم لغيرك ، وان ظلمت لغيرك ، فكيف تنصف من نفسك · لما ولى الرشيد علي بن عيسى بن ماهان خراسان سأل الرشيدَ اشياء ثقلت عليه فقال ليوسف : عرفه مقدار ما فعلت به فاني اظنه يجهله فوقع اليه : قد كفيناك بما وليناك ، وخراسان تسعك ما وسعك عُمُر · ووقّع الى بعض ولده : اذا لم يكن معروفك الا عند من يعرف لم يجز معروفك رواق بيتك · ووقّع : من جور الدنيا انها لاتعطي احداً ما يستحق اما ان تزيده واما ان تنقصه · ووقّع الى بعض ولده : اياك وصحبة فلان وان كان قريب النسب منك ، فانه بعيد الشبه بك ، فقد يفسد على الانسان بعض جسده فيقطعه ، وهو اولى به واقرب · ووقّع : ان اساءة المحسن ان يكف عنك احسانه ، واحسان المسيء ان يكف عنك اساءته وأبعد ما بينهما · ووقّع الى رجل كذبه في شيء : لو صوّر الصدق لكان أسداً ، ولو صوّر الكذب لكان ثعلباً ، وما صاحباهما ببعيدين من هاتين الصورتين ·

قال ابوبكر : حدثنا محمد بن الفضل بن الاسود قال : حدثنا علي بن محمد النوفلي قال : كان ليوسف ابي احمد بن يوسف غلام اسود متأدب نشأ في الاعراب فتولع بجارية لبعض اهلنا فشكاه اليه فضربه وحبسه ، وحلف ان لا يطلقه الا بعد شفاعة من شكاه فيه ، فترك ذكر الجارية فقيل له : ويحك أتحبك الجارية كما تحبها ؟ فقال :

كلانا سواءٌ في الهوى غير انها تجلد احياناً وما بي تجلد
تخاف وعيد الكاشحين وانما جنوني عليها حين أُنهى وأُبعد

فبلغ ابا القاسم يوسف شعره فقال : وان فيه لهذا الفضل · فركب من وقته الى الرجل الذي شكاه وكان قرشياً فقال له : اسألك ان تبيعني الجارية باي ثمن شئت فقال : ما افعل حتى اعرف السبب في ذلك فعرّفه خبره وانشد البيتين فقال : اشهدك اني قد

وهبت الجارية له بشفاعتك وطلبتك ، وانا اعطي بالله عهداً الا اخذت لها ثمنًا ابداً ، ووجه بالجارية معه ٠

وقال المؤلف في اخبار ابي محمد القاسم بن يوسف وشعره : وانما بدأت به لانه اسن من ابي جعفر احمد بن يوسف واكثر شعراً منه ، وأفصح في شعره ، وأشعر في فنه الذي أعجبه من مراثي البهائم من جميع المحدثين ، حتى انه لرأس فيه ، متقدم جميع من نحاه ، وما ينبغي ان يسقط شيء من شعره لانه كله مختار ، وللناس فيه فائدة ، ولا يوجد مجموعًا كما نورده وانا اذكره على القوافي وقال يرثي عنزاً له سوداء :

عين بكّي لعنزنا السوداء كالعروس الادماء يوم الجلاء
ذات لون كالعنبر الورد قد عـ ـلّ بما فاض يوم الطلاء
ذات روقين أملسين رقيقين وضرعين كالدلاء الملاء
ذات جيد ومقلتين كوحشـ ـية قفر من جاريات الظباء
ومنها : فخمة عبلة مع العتق والرقـ ـة زينت ببهجة وبهاء
فاذا شئت قلت ربة بيت ذات طفلين من خيار النساء
واذا شئت قلت ربة خدن في حجور الحضان والرقباء
اين لا اين مثلها مصطفاة من صفايا الملوك والوزراء
اين لا اين مثلها مقتناة عند حالين شدة او رخاء
اين لا اين مثلها يجمع (؟) اغنياء في الناس او فقراء
ومنها : تحلب الدرة الغزيرة بالجـ ـدة مرى الاكف غير عناء
تملأ المحلبين طورين في اليو م صباحًا طوراً وجنح العشاء
وتخال الشخوب وقع الشآبيـ ـب اذ ما فرغن فغر الاناء
ولها مرة درور كما ر دّ سحاب بديمة هطلاء
كم صبوح وكم غبوق وقيل قد سقيناك السوداء ملء الاناء؟
كم شربنا محضًا لها وضياحا وشقينا مجمراً في السقاء
رب جبن منها وزبد طري قد جمعنا طرّه لسلاء

وهي طويلة من أجمل ما كتب في هذا الموضوع :

قال ابوبكر : حدثني ذكوان قال : ذكر شعر الكتاب بحضرة ابراهيم بن العباس فقال اشعرهم عندي الذي مزحه أفصح ، واحسن من جد الناس القاسم بن يوسف وكان جدي عبدالله بن العباس يقول : وبه تأدب ابراهيم وعنه اخذ ، وكان أسن منه بنحو عشرين سنة : اقتسم ابنا يوسف نثر الكلام ونظمه فنقدم الكتاب فيهما يعني احمد بن يوسف في النثر وأخاه القاسم في النظم .

وقال في الشيب والزهد :

ودع شبابك قد علاك مشيب ... وكذاك كل معمر سيشيب
جازت سنوك الاربعين فازعجت ... منك؟ الشباب تجارب وخطوب
ودعاك داعٍ للرشاد أجبته ... وبما يراك الغيّ ليس يجيب
فابك الشباب وماخلا من عهده ... ايام انت الى الحسان طروب
يسبين لبك بالدلال و يستبي ... البابهن فسالب وسليب
طوراً يسامحن الهوى و يطعنه ... و يصبن قلبك بالجوى وتصيب
خلطن معصيـة بحسن إجابة ... فلهن عندك أنعم وذنوب
حتام توضع في البطالة والصبا ... عار بمثلك صبوة ومشيب
رحل الشباب وحل شيب بعده ... فمضت لذاذات وصد حبيب
لهفي على غدر الشباب فانه ... يكفيك اذ غصن الشباب رطيب
قد كان يجمع غدرة ولذاذة ... اذ ثوبه ضاف عليك قشيب
فرمته داهية الزمان بأسهم ... ونضت شروق لبسه وغروب
ما شئت فاحي بمدحه لابد من ... غم ونائبـة عليـك تنوب
مابعد شيبك غير يومك فاتخذ ... زاداً لنفسك فالرحيل قريب
ما هـذه الدنيـا بدار إقامة ... لا توطنن بهـا وانت غريب
خلت القرون فما يحس قريب ... منهم وقصر سبيلهم مركوب
ابن الاولى اهل السيادة والنهى ... والمطعمون وما تدرُّ حلوب
انحى الزمان عليهم بشفاره ... وسقتهم كأس المنون شعوب
وغـدا جزاء سعادة او شقوة ... افلا ينيب الى الرشـاد منيب

والمرء ... موفى سعيه مسك عليه بفعله مكتوب
طال العمي والجهل اذ غلب الهوى ان الهوى لذوي الحجى لغلوب
والموت يغتال النفوس ولم يزل للموت داعٍ للنفوس طلوب
ما نحن الا كالبهائم رتعاً حتى يتاح لها الردى المجلوب

وقد اورد له قصائد جميلة قالها في أغراض شتى تخالف أغراض معظم الشعراء ، منها قصيدة يشكو فيها البق والبراغيث والبرغش ، وأخرى في رثاء هرة ، وثالثة في الشكوى من النمل والفار وغير ذلك ، ورابعة في رثاء الشاه مرخ (الشاهمرد) ، وخامسة في رثاء القمري ، الى غير ذلك من جميل القريض في الغزل والتشبيب والرثاء والتشوق الى الديار .

وبعد ان استوفى الكلام على القاسم بن يوسف أفاض في اخبار اخيه ابي جعفر احمد ابن يوسف بن صبيح ، كاتب دولة بني العباس ، الذي وزر للمأمون بعد احمد بن ابي خالد ، وقال : انه معرق في الكتابة والشعر ، قال : حدثنا القاسم بن اسماعيل قال : حدثنا مقنب بن محرز الباهلي ، قال : كنا نقول لم يل الوزارة أشعر من احمد بن يوسف حتى ولي محمد بن عبد الملك فكان أشعر منه ، وذكر قصصاً لاحمد بن يوسف تدل على فضل ذكائه منها : تحدث احمد بن طيفور ان المأمون قال لاحمد بن يوسف اني أريد غسان بن عباد لامر جليل ، وكان يريده لولاية السند لانه أراد ان يعزل عنها بشر بن داود المهلبي لاشياء عظيمة عتب عليه فيها ، وكان المأمون يعلم سوء رأي احمد في غسان بن عباد فقال احمد : غسان رجل محاسنه اكثر من مساويه ، لا يضرب طبقة الا انتصف منها [1] مهما خيف عليه فانه لا يأتي امراً يعتذر منه ، لانه قسم زمانه بين ايام الفضل ،

(١) أورد ابو الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور في الجزء السادس من كتاب بغداد طبعة (كللير) في ليبسيك سنة ١٩٠٨ هذه القصة باختلاف قال : قال احمد بن ابي طاهر ، قال المأمون يوماً لاصحابه : أخبروني عن غسان بن عباد فاني أريده لامر جسيم ، وكان قد عزم ان يوليه السند فقال بشر بن داود بن يزيد قد خالف واستبد بالفيء والخراج ، فتكلم القوم وأطنبوا في مدحه ، فنظر المأمون الى احمد بن يوسف وهو ساكن فقال له ما تقول يا احمد : قال : يا امير المؤمنين ذاك رجل محاسنه اكثر من مساويه ،

فجعل لكل مكرمة وقتاً ، فقال له المأمون : لقد مدحته على سوء رأيك فيه . فقال اني لأمير المؤمنين كما قال الشاعر :

كفى ثمناً لما أسديت اني صدقتك في الصديق وفي عداتي

فأعجب المأمون كلامه قال ابوبكر : وهذا الخبر فانما هو لهشام بن عبدالملك وقد سأل اسد بن عبدالله القسري عن نصر بن سيار فأجاب فيه بهذا الجواب . فقال له هشام : مازعم ان المأمون اجابه به فقال بالشعر الا انه في اسد ابيات كثيرة ، رويناه باسانيد الثقات من غير وجه فنسبه ابن ابي طاهر الى المأمون ، واحمد بن يوسف بغير رواية ، لانه صحفي حاطب ليل يشرط في كتبه اختيار الشعر الجيد ، و يأتي بالردي ء ، و يزعم انه يقلل فيحسن ، فيكثر و يسيء ، ثم يحكي الكذب و يخطيء في التاريخ ، وفي نسب الشعر ، قال ابوبكر : وقد رأيته بالبصرة سنة سبع وسبعين ومائتين ، وقدمها الى احمد بن علي الماردانى و كتب عنه مجلسين او ثلاثة ، فلما رأيته صحفياً لم ار عنده ما اريد تركته ، و يعز علي ان اذكر احداً من اهل الأدب بسوء وان استحقه ، ولكن لا بد من ان نعطي العلم حقه ، ونضع الحق موضعه .

وذكر المؤلف انه كانت لاحمد بن يوسف مع ابي العتاهية اخبار . ومما أورده ان ابا العتاهية عتب عليه فكتب اليه :

ابا جعفر هلا اقتطعت مودتي فكنت مصيباً في اجراً ومصنعا
فكم صاحب قد جل عن قدر صاحب فألقى له الاسباب فارتفعا معا

لا تصرف به طباقه (؟) الا انتصف منهم مما تخوفت عليه ، فانه لن يأتي امراً يعتذر منه ، لانه قسم ايامه بين ايام الفضل ، فجعل لكل خلق نوبة ، اذا نظرت في امره لم تدر اي حالاته أعجب ، اما هداه اليه عقله ، ام ما اكتسبه من الادب ، قال : لقد مدحته على سوء رأيك فيه قال لانه فيما قلت كما قال الشاعر :

كفى ثمناً لما أسديت اني مدحتك في الصديق وفي عدائي
وانك حين تنصبني لأمر يكون هواك أغلب من هوائي

قال فأعجب المأمون كلامه ، واسترجع أدبه .

وحجبه يوماً فكتب اليه ايضاً :

اراك تُراع حين ترى خيالي ... فما هذا يروعك من خيالي
لعلك خائف مني سؤالا ... ألا فلك الأمان من السؤال
كفيتك ان حالك لم تمل بي ... لأطلب منك تبديلاً بحالي
وان العسر مثل اليسر عندي ... بايها مُنيتُ فلا أُبالي

فلما قرأه وصله واستكتبه .

ومن شعر احمد بن يوسف الى صديق له :

تطاول باللقاء العهد منا ... وطول البعد يقدح في القلوب
اراك وان نأيت بغير قلبي ... كأنك نُصب عيني من قريب
فهل لي في الرواح الى حبيب ... يقر بعينه قرب الحبيب

قال ابوبكر : قلت انا بيته الثاني كأنه من قول الحكيم بن قنبر المازني البصري :

ان كنت لست معي فالذكر منك معي ... يراك قلبي وان غُيّبت عن بصري
والعين تفقد من تهوى وتبصره ... وباطن القلب لا يخلو من النظر

وكانت بين احمد بن يوسف وبين ابي دلف القاسم بن عيسى مودة وكانا يتهاديان و يتكاتبان ثم ولي ابو دلف الجبل كله فكتب اليه احمد بن يوسف :

ما على ذا كنا افترقنا بشيرا ... ز ولا هكذا عقدنا الاخاء
لم اكن أحسب الأمارة يزدا ... د بها ذو الوفاء الا صفاء

وقال ايضاً: نفسي على حسراتها موقوفة ... فوددت لوخرجت من الحسرات
لو في يديّ حساب ايامي اذاً ... الغيته متطلباً لوفاتي
لم ابك حباً للحياة وانما ... ابكي مخافة ان تطول حياتي

أهدى احمد بن يوسف هدية الى المأمون في عيد وكتب اليه هذا يوم جرت فيه العادة باهداء العبيد للسادة وقد اهديت لامير المؤمنين قليلاً من كثير عندي وقلت :

اهدى الى سيده العبد ... ما ناله الامكان والجهد
وانما اهدى له ماله ... سيدا بهذا ولذا رد (?)

فقال المأمون عاقل اهدى حسناً :

وقال : زعمت قرينة ان حبك بادا كذبت قرينة بل نمى وازدادا
اقرين ان توجدي وتشوقي منعا الرقاد فما احس رقادا
وهواي بالبلد الذي اوطنته لا ابتغي ابداً سواه بلادا
كم ذكرة لك هيجت لي حسرة وجرى لها ماء الشؤون وجادا
اقرين لو ابصرتني لرثيت لي بين الرفاق اسائل الورادا
اكني بغيرك والهوى بك مفصح عجباً لذاك تفادياً وبعادا
هلا رثيت لهائم يفني بكم ليل التمام تقلباً وسهادا
ان لم يكن ورد المنية هالكاً ألماً ألمّ بوردها او كادا

ومما قاله من ابيات يهجو اسحق بن سعيد سالم :

فلقد تركت الارض ضيقة من بعد فسحتها على الفرد
وملأتها مقتاً ومبغضة فاذا ذكرتك ضاق بي جلدي
فالله اسأل ان يعوضني من قرب ذكرك ابعد البعد

واورد له جملة من اهاجيه ثم اورد له شيئاً من الاماديح وفيها اعتدال كما في اهاجيه ومما اورده له :

ظهر الفراق فاظهري جزعا ودعي العتاب فاننا سفر
ان المحب يصد مقترباً فاذا تباعد شاقه الذكر
يتهاجران لستر امرهما ولقد يدل عليهما الهجر

وقال وهو من ظريف شعره :

اصبحت مخموراً أحدث عن نفسي ومالي من علم بما كان بالامس
سقاني عبيد من يديه مدامة يصرفها لي ثم يلحى على الحبس
فيارب يوم قد حمدت مساءه تباكرني ذم له مطلع الشمس
فأصبحت قد حدثت نفسي بتوبة و يعتادني للهو عندي اذا أمسي

وقال ايضاً عذب الفراق لنا قبيل وداعنا ثم اقتبلناه كسمٍّ ناقع
وكأنما اثر الدموع بخدها طلٌّ سقيطٌ فوق ورد يانع

قال ابو بكر هو اول من افصح عن هذا المعنى وتبعه الناس .

وقال في ببغا ماتت لصديق له وكان له اخ متخلف يقال له عبد الحميد :

انت تبقى ونحن طراً فداكا احسن الله ذو الجلال عزاكا
فلقد جلّ خطب دهر أتانا بمقادير اتلفت ببغاكا
عجباً للمنون كيف اتتها وتخطت عبد الحميد اخاكا
كان عبد الحميد اصلح للمو ت من البيغا واولى بذاكا
شملتنا المصيبتان جميعاً فقدنا هذه ورؤية ذاكا

قال ابو بكر ومن هاهنا اخذ ابن بسام قوله لعبيد الله بن سليمان لما مات ابنه الحسن وبقي القاسم :

قل لابي القاسم المرزّى قابلك الدهر بالعجائب
مات لك ابن وكان دينا وعاش ذو النقص والمعايب
حياة هذا كموت هذا فلست تخلو من المصائب

قال ابو بكر حدثنا احمد بن اسماعيل قال سمع احمد بن يوسف لاخيه عليّ شعراً قد كتب به الى هوى له :

ايا باذلاً وداً لمن لا يشاكله يساعده في حبه ويواصله
عليك بمن يرضي لك الناس وده اواخره محمودة واوائله

فكتب اليه اخوه احمد : وفقك الله يااخي للسداد ، وهداك للرشاد ، قرأت لك شعراً انفذه اليّ من تخطب مودته ، وتستدعي عشرته ، فسرني شغفك بالادب ، وساءني اضطرابك في الشعر ، وليس مثلك من اخرج من يديه شيئاً يعود بعيب عليه ، واعيذك بالله من ان تلج لجة الشعر بلاعوم ينجيك منها ، وسباحة تصدرك عنها ، فنسبت الى قبيح اسر هويت النسبة الى حسنه ، فاعرف الشعر قبل قوله ، واستعن على قوله باهله ، ثم قل منه مااحببت ، اذا عرفت ماوردت واصدرت ، وهذه ابيات في وزن ابياتك نظمتها بمثل ما نثرته لك وهي :

ابا حسن عانـ الروية قبل ما تريغ من الشعر الذي انت قائله
ففي الشعر فضل ان وفيت بحقه ونقص اذا لم توف يظهر باطله
وحسبك عجزاً بامرئ ذي توصل اذا عيّ بالاشعار فيمن يواصله
يهون على معشوقه ما اعزه فتنقلب الاحوال فيما تحاوله

فدونك نصحًا من خبير مجرب   قضى آخراً افضت اليه اوائله
ومستأنف الايام منها كسالف   فبالسالف الماضي فقس ماتزاوله

قال ابو بكر حدثني عون بن محمد قال : كتب احمد بن يوسف الى اسحق بن ابراهيم الموصلي وقد زاره ابراهيم بن المهدي : عندي من انا عنده ، وتجنا عليك اعلامنا لك ، والسلام · ومن غير طريق عون انه كتب تحت هذا :

عندي من تبهج القلوب له   فان تخلفت كنت مغبونا

من توقيعات احمد بن يوسف : وقّع الى عامل ظالم : الحق طريق واضح لمن طلبه ، يهديه محجته ، ولا يخاف عثرته ، و يؤمن في الشر مغبته ، فلا تنقلن منه ، ولا تعدلن عنه ، فقد بالغت في مناصحتك ، فلا تحوجني الى معاودتك ، فليس بعد التقدمة اليك ، الا سطوة الانكار عليك ·

ووقّع في كتاب : مستتم الصنيعة من صابرها فعدل زيغها ، وأقام اودها ، صيانة لمعروفه ، ونصرة لرأيه ، فان اول المعروف مستخف ، وآخره مستثقل ، فكاد اوائله تكون للهوى ، واواخره تكون للرأي ، ولذلك قيل رب الصنيعة اشد من ابتدائها ·

ومن توقيعاته في عنايته بانسان الى بعض العمال : انا بفلان تام العناية ، وله شديد الرعاية ، وكنت احب ان يكون ما ارعيته طرفك من امره في كتابي ، مستودعًا سمعك من خطابي ، فلا تعدلن بعنايتك الى غيره ، ولا تخزن بفقدك سواه حتى تنيله ارادته ، وتتجاوز به امنيته ، ان شاء الله · ومن كلامه : قال ابو بكر حدثنا القاسم بن اسماعيل قال : حدثنا ابراهيم بن العباس قال سمعت احمد بن يوسف يقول امرني المأمون ان اكتب الى النواحي في الاستكثار من القناديل في المساجد ، فبت لا ادري كيف افتتح الكلام ، ولا كيف اجتذبه ، فأتاني آت في منامي فقال قل : فان في ذلك انسًا للسابلة ، وامنًا للمتهجدة ، ونفيًا لمكامن الريب ، وتنزيهًا لبيوت الله عن وحشة الظلم ، فانتبهت وقد فتح لي ما أريد ، فابتدأت بهذا واتممت عليه ·

حدثني محمد بن عبدالله بن احمد بن يوسف قال غنى مغن في مجلس احمد بن يوسف ولم يك محسنًا فلم ينصتوا اليه ، وتحدثوا مع غنائه ، فغضب فقال انت عافاك الله تحمل الآذان ثقلاً ، والقلوب مللاً ، والاعين قباحة ، والانف نتنًا ، ثم تقول اسمعوا مني ،

وانصتوا لي ، هذا اذا كانت افهامنا مقفلة ، وحواسنا مبهمة ، واذهاننا صدئة ، رضيت بالعفو منا ، والا قمت مذموماً عنا · وحدثني محمد بن العباس ايضاً قال : حدثني محمد بن عبد الله قال : خاصم احمد رجلاً بين يدي المأمون فكان قلب المأمون على احمد فقال : وقد عرف ذلك امير المؤمنين انه يستملي من عينيك ما تلقاني به ، ويستبين بحركتك ماتجنه لي ، وبلوغ ارادتك احب الي من بلوغ املي ، ولذة اجابتك احب الي من لذة ظفري ، وقد تركت له مانازعني فيه ، وسلمت اليه ماطالبني به · فشكر المأمون ذلك له · ومن كلامه : لقد احلك الله من الشرف اعلا ذروته ، وبلغك من الفضل ابعد غايته ، فالآمال اليك مصروفة ، والاعناق اليك معطوفة ، عندك تنتهي الهمم ، وعليك تقف الظنون الحسنة ، وبك تثنى الخناصر ، وتستفتح اغلاق المطالب ، ولا يستريب النجح من رجاك ، ولا تعلوه النوائب في ذراك ·

ومن كلامه : لك جد بنجدة همتك ، وانعام نفوه به نعمتك ، وهي تحسر الناظر اليها ، وتحير الواقف عليها ، حتى كأنها تناجيه بحسن العقبى ، وتوحي اليه ببعد المدى ، ولله در نابغة بني ذبيان في قوله :

محلتهم ذات الاله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب

ومن كلامه : من اتسع في الافضال ، اتسعت به الاقوال ، من شاكر مثنٍ ومادح مطرٍ ، ولسنا نصفك بما يعن لنا ، ويذل(?) على ألسنتنا مما يتقرب به ذو الرغبة ، ويفزع اليه ذو الرهبة ، لاستنزال مرغوب ، اواستيجاب مطلوب ، ولكننا ننطق عن سيرتك بافصاح ، ونبين عنها بايضاح ، فتكشف شعب الكائد ، وتطيل نفس الحاسد ·

ومن كلامه يعتذر الى بعض الاخلاء :

لي ذنوب ان عددتها جلت ، وان ضممتها الى فضلك حسنت ، وقد راجعت انابتي ، وسلكت طريق استقامتي ، وعلمت ان نوبتي في حجتي ، واقراري ابلغ في معذرتي ، فهذا مقام التائب من حرمة المتضمن حسن الفيئة على نفسه ، فقد كان عقابك بالحلم عني ، ابلغ من امرك بالانتصاف مني ، فان رأيت ان تهب لي ما استحققته من العقوبة ، لما ترجوه من المثوبة ، فعلت ان شاء الله ·

ومن كلامه : قد كان كتابي نفذ اليك بما كان غيره اولى بي والزم لي في

حق الحرية والكرمْ اللذين جعلالك ارثاً ، والشرف والفضل اللذين قسما لك حظاً ، ولكنني دفعت من اتصال الزلل ، والاخلال بالعمل ، الى ما اضطرني الى محادثتك ، ودعاني الى مخالفتك ، لاخلي عني حبوة الاتهام ، واصرف عنك عارض الملام ، وقد جرى لك المقدار بالسؤدد الذي خصّك الله بزيته ، وافردك بفضيلته ، فليس يحاول احد استقصاء عليك الا عرض دونه حاجز من واجبك يضطره الى ذلة التنصل اليك ، ويحوز ذلك عن التعمد . قال ابو بكر ومكاتبة احمد بن يوسف كثيرة شهيرة معروفة مألوفة فأتيت بالقليل منها ليستدل بها على جميعها .

وفاة احمد بن يوسف : قال ابوبكر سمعت عون بن محمد الكندي يقول سمعت عبدالله بن احمد بن يوسف يقول مات ابي بضيق نفس اعتراه اياماً ، وذاك ان المعتصم وسعيد بن سالم الباهلي كانا يكيدانه عندالمأمون ، ويقعان فيه ، فدخل يوماً الى المأمون وهو يتبخر فأخرج المجمر من تحته وقال اجعلوها تحت احمد ليكرمه بذلك ، فتبخر به فرفعا الى المأمون انه قال للآتي بالمجمر هات هذا المردود ، ولذا قال في البيت لغلامه ما هذا البخل على البخور ، ولو كان امر لي ببخور مستأنف كان اولى فحقدها عليه المأمون فقال أيقال لي هذا ، وانا اصل في يوم واحد رجلاً واحداً بستة آلاف الف دينار (؟) وانما اردت اكرامه ، فدخل يوماً احمد على المأمون وهو يتبخر فقال اجعلوا تحته في مجمر قطع عنبر وضموا عليه شيئاً يمنع البخور ان يخرج ، ففعلوا ذلك فصبروا ثم انصرف فمكث في بيته شهراً عليلاً من ضيق نفس حتى مات ، وكان موته في ست رمضان سنة ثلاث عشرة ومائتين وقد حكي غير هذا في كتاب الوزراء .

اما ابومحمد عبد الله بن احمد بن يوسف فكان ظريفاً كاتباً شاعراً الا انه قليل الشعر . وقد ألف كتباً صغاراً ورسائل الى اخوته والغالب عليه الهزل ، وربما نسب من لا يدري شعره الى محمد بن عبد الله لانه اكثر شعراً منه .

هذه نموذجات طيبة من كتاب الاوراق ولاسيما احمد بن يوسف وشعره ونثره واخبار ذويه نقلناها بدون تعمد ليستفيد بها الطالب ادباً والاديب حكمة .

قال المسعودي في كتاب الاوراق وكذلك سلك محمد بن يحيى الصولي في كتابه المترجم بكتاب الاوراق في اخبار خلفاء بني العباس ووزرائهم وشعرائهم فانه ذكر غرائب لم تقع

الى غيره واشياء تفرد بها لانه شاهدها بنفسه وكان محظوظاً من العلم مجدوداً من المعرفة مرزوقاً من التصنيف وحسن التأليف والله اعلم ·

محمد كرد علي

جمع فعال المضموم ليس بنادر

قيّدنا سيبويه ومن جاء بعده بقيود لم يعرفها العرب !

العرب عاشوا في البوادي والفلوات لا يحصرهم بناء ولا يقيدهم أدم ، فنشأت اخلاقهم حرة ، بعيدة عن كل ضيق او جور او أسر ، وعلى هذا المثال جاءت قواعد لغتهم فهي لا تعرف الضنك والضغط ، بخلاف الاعاجم ولا سيما الفرس منهم ، فانهم نشأوا في بيوت مبنية بالصخر والحجر ، وقد أذلهم ملوكهم منذ عهد عريق في القدم ، فألفوا القيد والتقييد منذ نعومة أظفارهم ، ولذا جاءت افكارهم ولغتهم ومفرداتهم مربوطة بهذه الرُّبُط المعينة ·

جاء سيبويه وفي نفسه هذه النزعات من حب الطوق والغل ، فقيد اللغة العربية بما كان قد نشأ عليه من ذلك الميل ، فوضع للغة الضادية تلك الضوابط التي حجر بها على اللغة من الانبساط والاتساع فحجَّرها في مكانها وأخمد أنفاسها ·

ولهذا يجدر بابناء العصر ان لا يعتمدوا على كل ما خطته يده من القواعد الا من بعد ان يتثبتوا صحة كلامه من مواطن اللغة المبينة ·

ومن جملة ما نطق به هذا الامام واندفع وراءه النحاة واللغويون قولهم لم يرد من الجموع على فعال (كغراب) الا ألفاظ ثمانية ذكرها الزبيدي في تاجه في مادة رخل ، اذ يقول :

ما سمعنا كلِماً غير ثمانٍ هي جمع وهي في الوزن فُعال
فتُؤام ودُراب وفُرار وعُراق وعُرام ورُخال

وقد ذكر هذين البيتين في مادة (ظأر) وجعل في مكان دراب : وراب · وكلاهما غير موجود في العربية بصورة الجمع · والصواب رباب بباء في الأول ·

ثم قال : وظؤار جمع ظئرٍ وبساط جمع بسط هكذا فيما يقال انتهى

وقال الازهري ومثل تؤام غنم رباب ، وابل ظؤار · وهو من الجمع العزيز ·